خطبة الجمعة

حضرة مرزا مسرور أحمد

ألقاها حضرة مرزا مسرور أحمد – أيده الله بنصره العزيز–

الخليفة الخامس لحضرة الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام

بتاريخ ١٨ ربيع الثاني ١٤٢٦ هـ الموافق ٢٧ أيار ٢٠٠٥م

يتحمل قسم الترجمة في الجماعة مسئولية أي خطأ نسيان أو سوء فهم صدر من أعضائه خلال ترجمة هذه الخطبة

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـــه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾ آمين.

﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (سورة النور: الآية ٥٦)

إن هذا اليوم هو ذلك اليوم في تاريخ الجماعة الإسلامية الأحمدية الذي بدَّل الله تعالى فيه، بمحض فضله، خوف جماعة المسيح الموعود أمنًا بعد وفاته عليه السلام، ومكَّن لهم دينهم بحسب وعوده ﷻ أعني أن الله تعالى حافظ لهم على نفس القوة والعزم الذي كانوا يتمتعون به مِنْ قبلُ في حياة المسيح الموعود عليه السلام. والله تعالى بشهادته الفعلية هذه أثبت أن المسيح الموعود عليه السلام كان نبيا مبعوثا من عنده تعالى وهو خليفته الذي كان سيُبعث في القرن الرابع عشر ليجدد الدين الذي نزل على الرسول ﷺ، وهو الذي بعد وفاته عليه السلام ستستمر خلافته إلى يوم القيامة حسب نبوءات الرسول ﷺ.

واليوم بعد مضي سبعة وتسعين عامًا على قيام الخلافة في الجماعة الإسلامية الأحمدية، يشهد كل ذكرٍ وأنثى وكل صغيرٍ وكبيرٍ في جماعتنا على أنه قد رأى هذه الشهادة الفعلية من الله تعالى تتحقق في هذه السنين السبع والتسعين، ولا يزالون يرون تحققها. الأمر الذي لا يشهد به الأحمديون فقط بل يعترف به

غير الأحمديين أيضًا.

هناك أمثلة كثيرة لهذه الشهادة التي تتعلق بقيام الخلافة بعد وفاة المسيح الموعود عليه السلام ثم بعد وفاة الخليفة الأول والثاني رضي الله عنهما. ولكن كما ذكرت من قبل أنه بعد رؤية انتخاب الخليفة الخامس الذي بُثّت مجريات أحداثه عبر القناة الفضائية الإسلامية الأحمدية، اعترف المعارضون أيضًا قائلين: لا نعرف أصادقون أنتم أم لا ولكننا نشهد بأن الشهادة الفعلية لله تعالى هي معكم وفي صالحكم.

هذا فضل من الله تعالى ونعمة عظيمة منه على جماعتنا التي لا نستطيع أن نؤدي حق شكرها مهما حاولنا لذلك. وإن هذا الشكر لله تعالى سوف يزيدنا نعمةً كما يقول تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾، أي لو واظبتم على الشكر فإنني سوف أزيدكم عطاءً وسوف أشبعكم أفضالاً ونِعمًا.

ألقي هذه الخطبة حول هذا الموضوع بسبب أهمية هذا اليوم، أي يوم ٢٧ من مايو/ أيار الذي هو يوم تأسيس الخلافة في الجماعة، كما ثمة سبب آخر أيضًا وهو مقالٌ كتبه نجل المسيح الموعود عليه السلام صاحبزاده مرزا بشير أحمد. وفي هذه الأيام هناك شخصٌ مجهول يرسله إلى العديد من الأحمديين.

لقد كتب مرزا بشير أحمد هذا المقال لتوضيح مقام الخلافة وضمَّنه – بحسب رؤيته – وجهة نظره الشخصية حول مدة بقاء الخلافة في الجماعة ونوعيتها. ولكن من الواضح تمامًا أن مرزا بشير أحمد رضي الله عنه لم يقصد أبدًا بهذا المقال نشر الفساد والفتنة في الجماعة. ولكن هذا الشخص الذي يوزع هذا المقال على الناس يحاول أن يثير في أذهان الجماعة الشكوك والشبهات حول الخلافة. ومما يدل على أن نية هذا الشخص ليست صالحة أنه لا يكتب اسمه على الظرف الذي يرسل به المقال المذكور، بل يكتب عليه: "هدية من أخ أحمدي." لو كان هذا حَسَن النية لكتب اسمه بوضوح على الخطاب ولأرسله بعد أخذ الإذن من المركز أو مني بأنه يريد أن ينشر هذا المقال. لقد أبدى تحذُلقا إذ أرسل المقال دون قص ولصق إذ أن النسخة المرسلة لا تزال تحتوي على أمور مثل: إن الله تعالى هو الذي يختار الخليفة، ولا يمكن عزل الخليفة. إلاَّ أنه حاول إبراز وجهة نظر مرزا بشير أحمد رضي الله عنه أنه سوف يأتي وقت حين تأخذ الملوكية مكان الخلافة.

هذه كانت وجهة نظر مرزا بشير أحمد. والخليفة الثاني –المصلح الموعود رضي الله عنه– بعد أن قرأ ذلك المقال ردَّ عليه وفنَّد هذا الرأي في رسالة له سوف أقدمها لكم فيما بعد إن شاء الله تعالى. ولكن تصرُّف ذلك الشخص يوحي وكأنه يريد أن يثبت أن خلافة الخلفاء الأربعة كانت صحيحة ولكن الآن ليست هناك أي خلافة. وإن شاء الله تعالى سوف أُثبت من المقال نفسه أن هناك خللاً في عقل هذا الشخص، وسوف أسلِّط عليه الضوء حتى إذا كانت ثمة شبهات في قلوب الإخوة الذين أُرسل لهم هذا المقال فستزول بعد هذا التوضيح.

ولكن قبل هذا أريد أن أشرح الآية التي استهللت بها خطبتي حيث يقول الله تعالى بأن الاستخلاف من نصيب أقوياء الإيمان الذين يعملون الصالحات. فالمؤمنون عندما يحرزون المستويات العليا في الحسنات والصالحات، فإن الله عز وجل بحسب وعده سوف يحقق لهم وعده ويقيم فيهم الخلافة ويجعلها تستمر فيهم بحيث بعد وفاة النبي يكون الخليفة ثم يعقبه خلفاء آخرون وبهذا الطريق يتبدل الخوف أمنا. هذا بفضل الله تعالى ما نراه منذ قرنٍ من الزمان تقريبًا، ولكن الشرط هو أن نكون عابدين لله وحده ولا نتأثر من لَهو الدنيا ولعبها ولا نقع في الشرك. أما إذا صار الناس ناكرين لنعمة الله تعالى هذه وتغافلوا عن العبادات وصارت الدنيا أحب لديهم من أوامر الله تعالى، فإنهم بسبب عصيانهم هذا سوف يُحرَمون من هذه النعمة.

فإن الذين لا يفهمون أهمية نعمة الخلافة عليهم أن يخافوا ويفكروا في مصيرهم، إذ إن الخليفة لن يُحرم من مقام الخلافة وإنما يُحرم من ذلك أولئك الذين يُعتبرون فاسقين عند الله تعالى بسبب عدم تقديرهم لمقام الخلافة. وسوف يُدمر أولئك الذين لا يدركون مقام الخليفة أو الخلافة والذين هم يستهزءون. فهذا تحذيرٌ وإنذارٌ شديدٌ لمن يدّعون بكونهم مسلمين. أو هو تنبيهٌ للأحمديين الضعفاء الذين بدلا من أن يدعوا لبقاء الخلافة واستحكامها يبحثون عن مواضع الاعتراض.

فمثلاً كتب لي أحد في بداية عهدي بالخلافة: لقد صرت خليفة نتيجة لخطة مدبرة! ولكن ما هي هذه الخطة التي كشفها هذا الشخص؟! قال: إن الإعلان عن وفاة الخليفة الرابع –رحمه الله تعالى– كان ينشر باسمك في القناة الفضائية الإسلامية وفي جريدة الفضل كدعاية لنفسك!!. إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون. لقد

كنت مضطرًّا لذلك إذ كان علي أن أقوم بذلك بحكم منصبي كناظر أعلى لمؤسسة صدر أنجمن أحمدية.

فهذا الشخص الذي أرسل لي هذا الكلام لا يتحلى بالشجاعة إذ لم يكتب اسمه على الرسالة، لذا فهو منافقٌ. وإذا كان لا يعتمد على الخلافة فلا معنى ولا فائدة من أن يبقى أحمديًّا. ولكنه إذا كان يريد أن يبقى أحمديًّا، والحالة هذه، فهو منافق بلا شك.

وبالمناسبة أخبركم بإيجاز أنه عندما رُشِّح اسمي لمنصب الخلافة، أصابتني هزة عنيفة وكنت أدعو ألا ترتفع يدُ أحد مؤيدةً ترشيحي. أما حالتي خلال عملية انتخاب الخليفة كلها فلا يعلمها إلا الله ونفسي. إنه لمن الغباء بمكان أن يفكر أحد في ترشيح اسمه للخلافة. وعندما يسألني الناس هل كنت تعرف أنك ستُختار خليفةً؟ أجيبهم بجواب الخليفة الثالث -رحمه الله تعالى- الذي عندما سئل بالسؤال نفسه أجاب: ليس لعاقل أن يفكر في ذلك. فهذا الشخص الذي كتب لي هذا الكلام الغريب إمَّا أنه يعتبرني غبيًّا أو هو بنفسه غبي لأنه بنفسه يفنّد ويهدُّ ما يبنيه. مما يدل على أنه لا يعتبرني غبيًّا هو قوله لي: إنك رشحت اسمك للخلافة بتخطيط محكم.

على أية حال، إن الشيطان يكيد كيده بأشكال مختلفة في الأزمنة المختلفة.

لقد بشَّرَ النبي ﷺ باستمرار الخلافة في أُمَّتِه إلى يوم القيامة بعد المسيح الموعود عليه السلام كما هو واضحٌ من الحديث الشريف. قال حذيفة: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "تَكُونُ النُّبُوَّةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَرْفَعَهَا ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا عَاضًّا (فيه عسف وظلم) فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكُونَ ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا جَبْرِيَّةً (فيه قهرٌ وظلمٌ شديد) فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ ثُمَّ سَكَتَ."(مشكاة المصابيح، باب الإنذار والتحذير)، وهذه هي الخلافة التي أخبرنا الرسول ﷺ أنها سوف تُقام في آخر الزمان بواسطة المسيح الموعود عليه السلام، وسكوت النبي ﷺ يبين أن الخلافة التي سوف تُقام بعد المسيح الموعود عليه السلام مستمرة إن شاء الله تعالى ودائمة إلى يوم القيامة، وهذا قدرُ الله تعالى ولا يقدر أي فتَّان أو أحد غيره أن يغير قدر الله تعالى.

إن هذه القدرة الثانية، أي نظام الخلافة، سوف يبقى ويدوم إن شاء الله تعالى ولا علاقة له بمدة الخلافة الراشدة بعد الرسول ﷺ. وإذا قيل بأن تلك الخلافة استمرت لحوالي ثلاثين سنة، فليكن معلوما أنها قد استمرت إلى تلك الفترة حسب نبوءات الرسول ﷺ، وإن دوام هذه الخلافة إلى يوم القيامة أيضًا مبني على نبوءات الرسول ﷺ نفسه.

الله عز وجل وحده أعلم بما هو حادث إلى يوم القيامة، ولكنني أخبركم أن سلسلة هذه الخلافة سوف تستمر بإذن الله إلى أجيالكم وإلى عدد لا يحصى من أجيال أجيالكم، ما بقيت فيكم التقوى والعمل بالصالحات. وبسبب ذلك منذ أن توليت الخلافة أُرَكِّزُ في خطبي على المواضيع المتعلقة بالتربية.

إن هذا الوعد والخبر الذي أعطاه اللهُ النبيَّ ﷺ قد جدده عز وجل للمسيح الموعود عليه السلام، حيث كتب حضرته في كتاب الوصية ما ترجمته:

"فالحاصل أنه تعالى يُري قسمين من قدرته: أولاً، يُري يدَ قدرته على أيدي الأنبياء أنفسهم، وثانيًا، يُري يدَ قدرته بعد وفاة النبي حين تواجه المحن ويتقوى الأعداء ويظنون أن الأمر الآن قد اختل، ويوقنون أن هذه الجماعة سوف تنمحي، حتى إن أعضاءها أنفسهم يقعون في الحيرة والتردد، وتنقصم ظهورهم، بل ويرتدّ العديد من الأشقياء، عندها يُظهر الله تعالى قدرتَه القوية ثانيةً ويُساند الجماعة المنهارة. فالذي يبقى صامدًا صابرًا حتى اللحظة الأخيرة يرى هذه المعجزة الإلهية، كما حصل في عهد سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه، حيث ظُنَّ أن وفاة الرسول ﷺ قد سبقت أوانَها، وارتد كثير من جهال الأعراب، وأصبح الصحابة من شدة الحزن كالمجانين، عندها أقام الله تعالى سيدنا أبا بكر الصديق رضي الله عنه، وأظهر نموذجًا لقدرته مرة أخرى، وحمى الإسلام من الانقراض الوشيك. وهكذا أتم سبحانه وتعالى وعده الذي قال فيه: ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لهم دينَهم الذي ارتضى لهم وليُبَدِّلَنّهم من بعد خوفهم أمنًا﴾.. أي أنه تعالى سوف يثبّت أقدامهم بعد الخوف. وهذا ما حدث بالضبط في زمن موسى عليه السلام حين اختطفته يد المنون وهو في الطريق ما بين مصر وأرض كنعان قبل أن يوصل بني إسرائيل إلى غايتهم المنشودة حسب الوعد. فقام بموته مأتم كبير بين بني إسرائيل."

ثم يقول حضرته عليه السلام:

"فيا أحبائي، ما دامت سنة الله القديمة هي أنه تعالى يُري قدرتين، لكي يحطّم بذلك فرحتَين كاذبتين للأعداء.. فمن المستحيل أن يغيّر الله تعالى الآن سنته الأزلية. لذلك فلا تحزنوا لما أخبرتكم به ولا تكتئبوا، إذ لابد لكم من أن تروا القدرة الثانية أيضًا، وإن مجيئها خير لكم، لأنها دائمة ولن تنقطع إلى يوم القيامة. وإن تلك القدرة الثانية لا يمكن أن تأتيكم ما لم أغادر أنا، ولكن عندما أرحل سوف يرسل الله لكم القدرةَ الثانية، التي سوف تبقى معكم إلى الأبد بحسب وعد الله الذي سجلتُه في كتابي "البراهين الأحمدية"، وإن ذلك الوعد لا يتعلق بي بل يتعلق بكم أنتم. كما يقول الله تعالى: إني جاعل هذه الجماعة الذين اتبعوك فوق غيرهم إلى يوم القيامة.

فمن الضروري أن يأتيكم يومُ فراقي ليليه ذلك اليوم الذي هو يوم الوعد الدائم. إن إلـــهنا إلـــهٌ صادق الوعد، وفِيٌّ وصدوق، وسيُحقق لكم كل ما وعدكم به. وبالرغم أن هذه الأيام هي الأيام الأخيرة من الدنيا، وهناك كثير من البلايا والمصائب التي آن وقوعها، ولكن لا بد أن تظل الدنيا قائمة إلى أن تتحقق جميع تلك الأنباء التي أنبأ الله تعالى بها. لقد بُعثتُ من الله تعالى كمظهر لقدرته عز وجل، فأنا قدرة الله المتجسدة. وسيأتي من بعدي آخرون، سيكونون مظاهر قدرة الله الثانية. لذلك كونوا منتظرين لقدرة الله الثانية داعين لمجيئها مجتمعين. ولتجتمع كل جماعة من الصالحين في كل قطر وليدعوا حتى تنـــزل القدرة الثانية من السماء، وتُريَكم أن إلهكم إله قادر كل القدرة. أيقِنوا أن موتكم قريب، إذ لا تعلمون متى ستحل تلك الساعة!

وينبغي لصلحاء الجماعة ذوي النفوس الطاهرة أن يأخذوا البيعة من الناس باسمي من بعدي. فالله يريد أن يجذب إلى التوحيد جميع الأرواح ذوي الفطرة الصالحة من مختلف أقطار المعمورة، سواء كانوا من أوروبا أو آسيا، وأن يجمع عباده على دين واحد. هذه هي غاية الله تعالى التي أُرسلت من أجلها إلى الدنيا. لذلك اجعلوا هذه الغاية نصب أعينكم، ولكن باللطف وحسن الخلق وكثرة الدعاء. فإلى أن يقوم أحدٌ مؤيَّدا بروح القدس من عند الله، ثابروا جميعًا على العمل بعدي متكاتفين."

هذا لا يعني أن يأخذ أكثر من شخص بيعة الناس في وقت واحد بل المراد أنهم سوف يأتون في أوقات مختلفة. ثم يقول حضرته عليه السلام:

"فالله يريد أن يجذب إلى التوحيد جميع الأرواح ذوي الفطرة الصالحة من مختلف أقطار المعمورة، سواء كانوا من أوروبا أو آسيا، وأن يجمع عباده على دين واحد. هذه هي غاية الله تعالى التي أُرسلت من أجلها إلى الدنيا. لذلك اجعلوا هذه الغاية نصب أعينكم، ولكن باللطف وحسن الخلق وكثرة الدعاء. فإلى أن يقوم أحدٌ مؤيَّدا بروح القدس من عند الله، ثابِروا جميعًا على العمل بعدي متكاتفين." (الوصية، الخزائن الروحانية ج ٢٠ ص٣٠٤- ٣٠٧)

فترى أن الله تعالى قد وعد المسيح الموعود عليه السلام بكل صراحة أنه سيجعل هذه الجماعة الذين هم أتباعه غالبين على الآخرين إلى يوم القيامة. وهذه الغلبة ستتم بإقامة توحيد الله تعالى وبالاتحاد على يد واحدة. إن الله تعالى لم يقل هنا إنه سيقيم من أسرة معينة أو من بلد معين، أناسا يسعون لتمكين الدين، بل يقول المسيح الموعود عليه السلام: يجب أن تجتمع جماعة من الصالحين من كل قطر للدعاء.

فبدلاً من الخوض في المكائد والحيل، يجب أن تكونوا صالحين وداعين الله عز وجل لتستمر الخلافة فيكم إلى الأبد.

وكما قلت من قبل إن هذا الشرف، شرف الخلافة، وإن كان على مدى قرنٍ من الزمان تقريبًا في نصيب أناس من بلد معين أو في نصيب أسرة المسيح الموعود عليه السلام، غير أنه لابد لاستمراره في هذه الأسرة وفي ذلك البلد من الدعاء وصالح الأعمال. وإلاَّ فالأمة التي تكون سبّاقة في الإخلاص والوفاء والتقوى هي التي سوف تحمل هذه الراية لأن الله تعالى وعد المسيح الموعود عليه السلام أن هذه القدرة الثانية دائمة، لا شك في ذلك، ولكن هناك شروط منوطة بدوام هذه القدرة الدائمة، وهي الأعمال الصالحة.

إن نماذج وفاء الأحمديين وصدقهم التي شاهدتها أثناء جولتي الأخيرة لبعض البلاد الأفريقية، كما حدث في العام الماضي، يطول الحديث حولها. هذه الأمور يمكن أن يحس بها الإنسان ولكن من الصعب أن يبينها بالكلمات. في "تنـــزانيا" كانت فروع الجماعة في الأماكن النائية والطرق وعرة حتى إن الإنسان يضطر للسفر لمدة ثمانية أو عشرة أيام من أجل أن

يقطع ستمائة ميل فقط بين مدينة وأخرى. لقد سافرنا بطائرة صغيرة إلى مدينة صغيرة نسبيا في هذه المناطق النائية، فجاء هناك أناس كثيرون للقاء من أماكن بعيدة، ولقد كان حماسهم جديرٌ بالمشاهدة. في كثيرٍ من هذه الأماكن لا يصل بث قناتنا الفضائية، لذا لا يستطيعُ أحد أن يقول بأن هؤلاء البسطاء يحبون الخليفة لأنهم يشاهدونه عبر القناة الفضائية. بل إن هذا الحماس يدل على أن لهؤلاء العاملين بالصالحات علاقة حب خاص بالخلافة والخليفة. والذين كانوا يصافحونني يصعب علي أن أُعبِّرَ عن مشاعرهم. أضرب لكم مثلا واحدا: كان الناس واقفين في طابور لمصافحتي، فمدَّ أحدهم إليَّ يده، وعند المصافحة بدأ يبكي بشدة لفرط مشاعره. هل هذه المشاعر وهذه المحبة تُبدى نحو الملوك والسلاطين؟! أم أن الله تعالى هو الذي يخلق هذا القبول وهذه المحبة لأهله.

كان هناك شخصٌ كبير السن مصاب بالفالج (شلل نصف الجسم طوليًا) وأصر على لقائي، وجاء من مسافة أربعين أو خمسين ميلاً، وكانت يده معوجة بسبب مرضه، ولكنه عندما صافحني شدَّ على يدي بكل حرارة حتى ظننت أن يدي مأخوذة في قبضته القوية. فهل يتكبد أحد هذا العناء من أجل الأمور المادية؟! لقد كانت المشاعر فياضة في كل مكان ذهبت إليه.

ونفس الأمر شاهدته في المسلمين الأحمديين من مناطق نائية في "كينيا" أيضًا. كما شاهدت الإخلاص والوفاء نفسه في سكان المناطق النائية في أوغندا. اقرؤوا التقارير التي سوف تُنشر فيما بعد فستعرفون من خلالها مدى إخلاص الناس للخلافة. وهذا الإخلاص والعمل الصالح سوف يؤدي إن شاء الله إلى قوة الخلافة وتدعيم نظامها في الجماعة الإسلامية الأحمدية.

والآن أقدم إليكم مقتبسا آخر لسيدنا الإمام المهدي عليه السلام حيث يقول:

"اعلموا أنه ثمة آيات كثيرة في القرآن الكريم التي تبشر بالخلافة الدائمة في هذه الأمة، كما أنه هناك أحاديث كثيرة أيضا بهذا الشأن. وما قد أسلفناه يكفي للذين يعتبرون الحقائق الثابتة نعمة عظمى ويقبلونها. وليس هناك سوء ظن أكبر من أن يُعتبَر الإسلامُ دينًا ميّتًا وتُعتبر بركاته مقتصرة على القرن الأول فقط." (شهادة القرآن، الخزائن الروحانية ج ٦ ص٣٥٥)

بعد هذا لا يبقى مجال للخوض في نقاشات بأنه إلى متى ستبقى الخلافة ومتى ستتحول إلى الملوكية؟! فعلى الدوام سوف يولد إن شاء الله تعالى من يعملون الصالحات، ولسوف تستمر الخلافة إلى الأبد. وكما قال المسيح الموعود عليه السلام بأنه ليس هناك سوء ظن أكبر من أن يعتبَر الإسلامُ دينًا ميّتًا وتُعتبر بركاته مقتصرة على القرن الأول فقط. ومن سوء الظن أيضًا أن يقال بأنه قد قامت الخلافة الحقة في الجماعة الإسلامية الأحمدية حتى الخليفة الرابع على شاكلة الخلافة الراشدة الأولى، وبعد ذلك انتهت هذه الخلافة. فهل كان الله تعالى – وحاشا لله– قادرًا على أن يعطينا نعمة الخلافة الراشدة لمدة تزيد على الخلافة الراشدة الأولى ثلاثة أضعاف فقط وبعد ذلك انتهت قدراته؟!. لا نملك إلا أن نقول على ذلك: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون.

وإذا كان أحد يفكر بهذا التفكير فهو مخطئ كما بينته من خلال الحديث النبوي وكلام المسيح الموعود عليه السلام. إن الله تعالى ينجز وعده لا محالة، أما أنتم فعلى كل واحد منكم أن يراعي عمله ويحاسب نفسه.

والآن أوجه حديثي لذلك الشخص الذي – بنشره المقال المذكور بكل حذلقة – أراد أن يثير الشبهات في قلوب البعض، وأن يجعل منهم أداة لـــه أو أن يشوش عليهم. ولكنه لا يعرف أن غالبية الجماعة بفضل الله تعالى مخلصةٌ ووفيةٌ وصادقةٌ ومحبةٌ للخلافة. وإن الذين أرسل إليهم هذا المقال قد أخبروني أو بادروا بإعلام النظام وبعثوا المقال إلينا. فقد أقدم الشيطان على خطوة ولكنه فشل وأخفق. غير أنه من واجبي أن أنبه الجماعة حتى تأخذ حذرها في المستقبل. إن هذا الرجل قد أبرز من مقال مِرزا بشير أحمد رضي الله عنه رأيه بأن الخلافة لا تستمر إلى الأبد بصورة متواصلة بعد أي نبي من الأنبياء. بل تستمر إلى الوقت الذي يراه الله تعالى مناسبًا لتكميل مهمة النبوة، ثم تحل الملوكيةُ مكان الخلافة الراشدة، أي تنقطع سلسلة الخلافة ولا يأتي الخليفة تلو الخليفة، بل سوف تنتهي هذه السلسلة من الناحية الروحانية. ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: هل اكتملت مهمة المسيح الموعود عليه السلام؟! وكما قلت سابقا إن هذا الكلام كان رأيًا شخصيًا لمِرزا بشير أحمد رضي الله عنه. ولقد ذكرت في موضع أو اثنين من المقال نفسه بعض الكلمات المشابهة لما سبق ذكرها. ولكن على هذا الشخص أن يقرأ في نفس المقال ما كتبه مِرزا

بشير أحمد عند ذكر علامات الخلفاء الصادقين. فقال حضرته أن العلامة الأولى والظاهرية هي أن تختار جماعة المؤمنين شخصا خليفة لهم بالإجماع أو بالأغلبية. فليقل هذا الشخص الآن: ألم يحدث هذا عند انتخاب الخليفة الخامس؟ كانت لجنة الانتخاب تضم كثيرًا من الأعضاء الذين ما كانوا يعرفونني، ولكنهم تحت تأثير القدرة الإلهية أدلوا بأصواتهم لصالحي. وقالوا: لقد ألقى الله تعالى في قلوبنا هذا الاختيار.

إن هذا الأمر موضحٌ أيضًا في مقال مرزا بشير أحمد ﷺ، وإنني أُرجع كلامي هذا إلى مقال مرزا بشير أحمد لأن المقال نفسه يتضمن الردود، والنصيحة ألا تستعجلوا.

ثم يقول مرزا بشير أحمد: إن العلامة الثانية التي لكونها علامة باطنية تتطلب فكرا عميقا وتدبرا كثيرا إنما تكمن في آية الاستخلاف حيث يقول تعالى: ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾. يقول مرزا بشير أحمد إنه بعد وفاة كل خليفة تحدث عموما زلزلة في أفراد الجماعة ويأخذهم الخوف والذعر. ومن سنة الله تعالى أنه في مثل هذا الوقت يبدّل خوفهم أمنًا ويمكّن لهم دينهم بواسطة خليفته الذي يختاره. وكل واحد منكم شاهدٌ بل يشهد كل أحمدي في العالم حتى الصغار أيضا على حدوث هذا بعد وفاة الخليفة الرابع رحمه الله تعالى. ألم يغير الله تعالى حالة خوف الجماعة إلى أمن؟!. إذا كان هذا الشخص لا يكفيه هذا الدليل، فأمره إلى الله.

والعلامة الثالثة التي يذكرها مرزا بشير أحمد حسب رؤيته هي أن الله تعالى يُظهر بشكل من الأشكال على نبيّه من سيخلفه في المستقبل، وهذا أمرٌ متعلقٌ بالنبي وليس من الضروري أن يظهره النبي على الآخرين دائما.

لذا فإنني أقول لذلك الشخص بكلمات صاحب المقال نفسه حيث يقول حضرته: يجب أن تقدّروا هذا الزمن حق قدره، وأن تكونوا أُسوة حسنة لمن يأتي من بعدكم حتى تذكركم الأجيال القادمة بالعزّ والفخرِ، وتعتبركم من بُناة الأحمدية وليس من مخرّبيها.

على أية حال، كما قلت سابقا بأنه عندما نُشر هذا المقال كتب أبي مرزا منصور أحمد إلى الخليفة الثاني ﷺ بأنه لا يتفق مع مرزا بشير أحمد فيما يتعلق بتحوّل الخلافة إلى الملوكية لأن هذا لا يثبت من كتابات وإلهامات المسيح الموعود عليه السلام. وأقول بالمناسبة بأنه سبق لي أن اطّلعت شخصيًا على هذه الرسالة التي أرسلها أبي، رحمه الله تعالى، للخليفة الثاني ﷺ وقرأت تعليق الخليفة الثاني ﷺ أيضا حيث كتب أن رأيك سليم. وقد مضت فترة طويلة على قراءتي لهذه الرسالة غير أنني أتذكر أن الخليفة الثاني ﷺ كان قد كتب أيضا أن الخلافة الأحمدية لن تتحول إلى الملوكية. على أية حال نشر الخليفة الثاني ﷺ بهذا الصدد مقالا في جريدة "الفضل" وسأقرأه عليكم حتى يزول الخطأ من الأذهان.

اعتبروا ذلك صدفة أو قدرا من الله تعالى أنه بسبب رسالة والدي انتبه الخليفة في ذلك الوقت إلى هذا الموضوع ووضّح الأمر.

فقال حضرته ﷺ: "لقد نبهني عزيزي مرزا منصور أحمد إلى مقال كتبه مرزا بشير أحمد عن الخلافة ذَكر فيه أن زمن الخلافة مؤقتٌ بحسب الحديث النبوي. ما قرأت هذا المقال من قبل ولكنني بعد رسالة مرزا منصور أحمد اطلعت على الفقرة المذكورة ووجدت أنها لا تقدم حقيقة الخلافة بصورة صحيحة. فالحديث الذي استدل به مرزا بشير أحمد أنه لا بد من أن تأتي الملوكية بعد الخلافة، لا يضع قانونًا عامًّا بل يتنبأ عما سوف يحدث في زمن بعد الرسول ﷺ. ومن المعلوم أن مثل هذه النبوات تكون لزمن معين ولا تحيط بالأزمنة كلها. إن تحقيق النبوءة عن الخلافة بعد النبي ﷺ التي تعقبه ملك جبرية لا يستلزم حدوث نفس الأمر بعد خلافة كل مبعوث من الله تعالى. حيثما ذكر القرآن الكريم الخلافة ذكر معها أنها نعمة كبيرة، فما بقي قوم أهلا لهذه النعمة ظلت النعمة قائمة فيهم.

أمَّا ما يتعلق بالمبدأ والقانون فهو أنه ما من نبي إلا وتبعته الخلافة، وتستمر هذه الخلافة إلى أن يحرم القومُ نفسَه من نعمة الخلافة. فهذا لا يعني أن الخلافة لا بد أن تزول. إن خلافة المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ما زالت مستمرة، ولا شك أننا نقول بأن "البابا" ليس خليفة لعيسى عليه السلام بالمعنى الصحيح/ كما نقول بأن الأمة المسيحية ليست هي أمة عيسى عليه السلام بالمعنى الصحيح، ومع ذلك قد نالوا ما نالوا ولو بأي شكل. بل نعتقد بأن خلافة موسى عليه السلام كانت مؤقتة ولكن خلافة عيسى عليه السلام استمرت بشكلٍ أو بآخر لآلاف السنين، هكذا فالخلافة الأولى في الإسلام بعد النبي ﷺ كانت مؤقتة،

ولكن خلافة المسيح المحمدي عليه السلام ستبقى مستمرة إلى زمن غير محدد على غرار خلافة المسيح الموسوي. لقد أكد المسيح الموعود عليه السلام على هذا الأمر مرارًا وقال إن هناك تشابهًا بين المسيح المحمدي والمسيح الموسوي في كل أمرٍ يتعلق بالكمال والحُسن، اللهم إلاَّ أمورا تتعلق ببعض الابتلاءات، إذ فيها تغلب العلاقة المحمدية على العلاقة الموسوية وتحدث تغييرًا طيبًا. فعلى سبيل المثال إن المسيح الأول قد عُلِّقَ على الصليب ولم يحدث هذا للمسيح المحمدي، وذلك لأن المسيح الأول كان مدعومًا بالقوى الموسوية أما المسيح الثاني فهو مدعومٌ بالقوى المحمدية. وبما أن الخلافة نعمة وليست ابتلاء لذلك يمكن أن توهب الأمة المحمدية نعمةَ أفضل مما وُهب للمسيح الأول، ولكن لا يمكن أن تبقى الأمة في زمن المسيح المحمدي محرومة من تلك النعمة التي حظي بها المسيح الموسوي. وذلك لأن المسيح الأول كان مدعوما بالفيوض الموسوية بينما المسيح الثاني مدعوم بالفيوض المحمدية. لذا أقول لكم أنه من الخطير وعديم الجدوى أن نخوض في موضوع تحديد مدة الخلافة. وعليه فإن الخلافة في الجماعة الإسلامية الأحمدية سوف تستمر إلى فترة طويلة لدرجة لا يمكن أن نتصورها. وإذا حصل انقطاع مؤقت – لا قدر الله – لهذه الخلافة فإنه لن يكون انقطاعا حقيقيا بل مثله كمثل أنهار تجري تحت الأرض أحيانا ثم تخرج على السطح ثانية. أمَّا ما حدث في القرون الأولى للإسلام فكان هذا مختصا بتلك الظروف وليس هو بقاعدة لكل زمانٍ".
(جريدة "الفضل" ٣ أبريل/نيسان ١٩٥٢)

أرى أنه يكفي هذا التوضيح من حضرة الخليفة الثاني لأنه رضي الله عنه كان يتلقى التوجيهات من الله تعالى حتما لكونه رضي الله عنه خليفة للمسيح الموعود ومصلحًا موعودًا. ولقد أخبر الله تعالى عنه المسيحَ الموعود عليه السلام بأنه سيُملأ بالعلوم الظاهرية والباطنية. فمن الظاهر أنه مهما كان أحد عالمًا، فإنه بإزاء الخليفة يبقى دونه منـــزلة لأن الله تعالى لإرشاد الجماعة ومصلحتها يُجري على لسان الخليفة كلمات هي من مشيئة الله تعالى.

لذا كما ذكرت سابقًا، يجب أن يسعى جميع الأحمديين ألا يخوضوا في اللغو وما لا طائل منه، وأن يدعو الله تعالى لتمكين الخلافة وترسيخ دعائمها حتى تبقى بركاتها فيكم دوما. وفيما يتعلق بي فإذا وجدتم فيَّ أخطاءً فيجب أن تخبروني بها. أمَّا إذا ذكرتم هنا وهناك أو بين أصدقائكم أن فيه عيبا أو نقصا كذا وكذا، (كما نتلقى مثل هذه التقارير من بعض الأماكن) فلا يحق ذلك لأحد.

يقول المصلح الموعود رضي الله عنه في مكان آخر: أعتقد بأن الأحمدية إذا بقيت على الإيمان بالخلافة وإذا سعت جاهدةً لإقامة الخلافة والحفاظ عليها، فستبقى الخلافة مستمرة إلى يوم القيامة ولن يتمكن أي شيطانٍ من أن يمسها بسوء.

فيجب أن يضعَ كل أحمدي هذا الأمر نصب عينيه وأن يستجلب بالأدعية تلك البركات التي وعد الله تعالى بها المسيح الموعود عليه السلام. ويجب أن يتذكر الجميع تلك التضحيات التي بذلها آباؤكم من أجل إقامة الخلافة وتمكينها. فعلى كل من هو جالس أمامي ويفهم لغتي وكلامي أن يُحْدِثُوا في أنفسهم تغييرات طيبة، وأن يزدهروا ويترقوا في الإخلاص والإيمان أكثر من ذي قبل، وأن ينظروا إلى أولئك الذين بالرغم من عدم فهمهم لغتي مباشرة وبالرغم من قلة لقائي معهم حتى إن الكثير منهم قد رأوا الخليفة لأول مرة، ومع ذلك فإنهم يزدهرون في الإخلاص والوفاء. من الأمثلة التي رأيتها في أوغندا أنه عندما انطلقت سيارتي كانت هناك امرأة تحمل طفلها البالغ من العمر سنتين أو أكثر، أخذت تركض بجوار السيارة. كانت نظرتها مليئة بالإخلاص والأنس وتترشح بالحب والولاء مع الخلافة والجماعة. ما كان طفلها ينتبه إلي في البداية فكانت تدير وجهه نحوي لكي يراني، فبقيت تركض لمسافة طويلة بجوار السيارة على الرغم من تدافع الناس جراء الازدحام إلا أنها لم تكترث بذلك. وما ارتاحت إلا عندما وقع نظر طفلها علي في نهاية المطاف وابتسم ولوح لي بيده. وإن البهجة والابتسامة التي علت وجه الطفل هي الأخرى كانت توحي كأنه يعرفني منذ مدة طويلة. فما دام فينا أمهات يتربى في أحضانهن أولاد مُحبّون للخلافة فلا خطر على الخلافة الأحمدية إن شاء الله تعالى.

وكما ذكرت من قبل، أن الله تعالى ليس له صلة قرابة مع أحد، غير أنه عز وجل يري قدرته المؤمنين الذين يعملون الصالحات وينجز لهم وعوده. فارحموا أنفسكم وأجيالكم، وبدلا من الخوض في مثل هذه الأمور اللاغية أو مجالسة أولئك الذين يخوضون في هذا اللغو انتبهوا إلى العمل بأمر الله وإلى وعوده تعالى وتقوية جماعة المسيح الموعود عليه السلام. إن الجماعة قد انتشرت كثيرًا بفضل الله تعالى لذا يجب ألاَّ يخطر ببال أحد أن أسرته أو بلده أو قومه فحسب يحملون راية الأحمدية، بلْ إن راية الأحمدية الآن بيد

الذي يعمل صالحًا ويتمسك بأهداب الخلافة.

بعد ثلاثة أعوام إن شاء الله تعالى سوف يحين العيد المئوي على إقامة الخلافة. وكان الخليفة الثالث -رحمه الله تعالى- قد ناشد الجماعة قبل حلول العيد المئوي على تأسيس الجماعة إلى ضرورة المواظبة على بعض الأدعية، وأنا كذلك أنبهكم مرة أخرى إلى تلك الأدعية. لقد قال الخليفة الثالث رحمه الله: يجب أن تقرءوا سورة الفاتحة سبع مرات يوميًا. إذن فاقرؤوا الفاتحة بكل تدبر حتى تتقوا من كل فتنة وفساد ومكر ودجل.

كذلك واظبوا على دعاء: رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ.

بالإضافة إلى ذلك أنبهكم إلى دعاء آخر لم يكن في الأدعية التي أكد عليها الخليفة الثالث وهو كالتالي: رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ، وهذا دعاءٌ هام وعظيم جدًا لاستقامة القلوب. فبعد وفاة المسيح الموعود عليه السلام رأت السيدة مباركة بيجوم ابنة المسيح الموعود عليه السلام في رؤيا أن المسيح الموعود عليه السلام قد جاءها وقال لها يجب أن تُكثروا من هذا الدعاء.

وواظبوا أيضا على الدعاء: اللهُمَّ إِنَّا نَجْعَلُكَ فِي نُحُورِهِمْ وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شُرُورِهِمْ.

كذلك يجب أن تكثروا من الاستغفار أي: أستغفر الله ربي من كل ذنب، وأتوب إليه.

كما يجب أن تُكثروا من الصلاة على النبي ﷺ في السنوات الثلاث القادمة بشكل خاص. كذلك يجب أن تصلوا ركعتي نفل يوميًا وادعوا فيها لازدهار الجماعة ولبقاء الخلافة وتمكينها.

وكذلك عليكم أن تصوموا من كل شهر يومًا نافلةً.

أقول لكم مرةً أخرى، إذا كان في قلبِ أحدٍ شرٌ فليستغفر الله تعالى أن يتخلص من هذا الشر. إن جماعةَ المسيح الموعود عليه السلام قد انتشرت كثيرًا وتقدمت بفضل الله تعالى في الإيمان والإخلاص لدرجة أنه مهما كان مكر أعدائها كبيرًا فلن تنجح بإذن الله تعالى أي خطة شريرة تهدف إلى إبعاد أفراد الجماعة عن الخلافة.

أقول بالمناسبة إنني عدت بفضل الله تعالى بعد الجولة التي زرت فيها ثلاثة بلاد إفريقية شرقية وحاولت أن أصل إلى الفروع الفقيرة للجماعة في المناطق النائية في البلاد. وكذلك جاءت وفود الجماعة من إثيوبيا والصومال وبوروندي والكونغو وموزمبيق وزامبيا وزيمبابوي، والحمد لله قابلتهم جميعًا. بعض هذه الوفود قطعوا للقائي مسافة تزيد على ألفي كيلومتر رغم عدم توافر مرافق السفر والطرق غير المعبدة، ورغم فقرهم فقد تحملوا بأنفسهم نفقات السفر دون أن تقدم الجماعة إليهم أية مساعدة. إن الناس يجتمعون للرؤساء والملوك الدنيويين أيضًا بل ويُجمعون قهرًا في بعض البلاد مثل باكستان حيث يأتون بهم قهرا ثم يتركونهم دون أن يدفعوا لهم نفقات السفر للعودة إلى بيوتهم. ولكن أن يجتمع الناس لشخص ليس من قومهم ولا يعرف لغتهم وليس بينهم قاسمٌ مشترك إلاَّ أنهم أحمديون ويحبون الخلافة ولذلك تكابدوا هذا العناء وتوافدوا، إن هذا الأمر يدل بلا شك على أنهم يحبون المسيح الموعود عليه السلام ويحبون رسول الله ﷺ حقًّا، وفوق كل ذلك تحملوا كل هذه المصاعب لتنفيذ أوامر الله تعالى. فما دام أمثال هؤلاء يولدون في الجماعة - وسوف يولدون بفضل الله تعالى إلى الأبد - تظل الجماعة تنال نصيبًا من جميع تلك النعم التي وعد الله تعالى بها الجماعة والتي أخبرنا بها رسول الله ﷺ والمسيح الموعود عليه السلام. زاد الله تعالى كل أحمدي في الإخلاص والوفاء والأعمال الصالحة ويوفقهم للتمسك بأهداب الخلافة دومًا.

ثمة حادث مؤلم قد حصل أثناء هذه الجولة وكان له تأثير عميق في نفسي. عندما كان وفدُ زامبيا راجعًا إلى بلده تعرض لحادث حيث استشهد خمسة أفراد بمن فيهم مبشر الجماعة السيد إبراهيم الذي كان من غانا وسائق السيارة الذي لم يكن أحمديا. ولكن بفضل الله لم يزعزع هذا الحادث الأليم إيمان عائلاتهم، بل ازداد أفراد عائلات المتوفين علاقة مع الجماعة، واعتبروا هذا الأمر قدرا من الله ورضوا به. ندعو الله تعالى أن يقوي إيمانهم وأن يتغمد المتوفين برداء رحمته وغفرانه.

كان هذا المبشر - رحمه الله تعالى- مخلصًا ووفيًّا وشابا جميلا، ومازال وجهه الباسم متمثلاً أمام عيني. بعد لقائه معي عزم على أنه سوف يسعى لينشر دعوة الأحمدية بحماس متجدد. وقد عقد العزم قبل عودته لبلاده أننا سوف نرتب مشاريع جديدة لتربية الجماعة وتبليغ دعوتها. في طريق عودته لغانا بالسيارة كانت معه عائلته المكونة من زوجته وابنَيه، ولقد استشهد الجميع إلاَّ ابنًا له عمره خمس سنوات، وقد أُصيب بصدمة شديدة بسبب ما حدث. ندعو الله أن ينقذه من كل مكروه في المستقبل. ولقد أرسل جثمان هؤلاء الشهداء إلى غانا حيث دفنوا. ندعو الله تعالى أن يرفع درجاتهم، وبعد صلاة الجمعة سوف أُصلي عليهم صلاة الغائب. وإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون.